الحُبُّ وانعكاساتُه اللُّغويّة في زمن كورونا

Love and its linguistic implications in the time of Corona

د.أسماء ياسين رزق

جامعة دمشق (سوري) ، البريد الإلكتروني: asmarizk86@gmail.com

تاريخ الاستلام:2020/10/10 تاريخ القبول:2020/12/05 تاريخ النشر: 2021/03/01

ملخَّص البحث:

يتناول هذا البحث محورَ "الأبعاد الاجتماعيّة اللسانيّة المرتبطة بفترة الحجر الصحّيّ من خلال التعبير اللَّهَجيّ"، ويُخصُّ بالدَّرسِ التَّعبيرَ اللُّغويَّ عن الحبِّ الذي اتَّخذ أنماطاً فرضها الوباءُ على المحبّين والشعراء والأدباء.

واتَّجه الخيالُ بأولئك المحِبّين إلى مواقع التواصل الاجتماعي معتمداً على موقعَي "فيسبوك" و"يوتيوب" في ظلِّ الحجر الصحّيّ والتباعُد الاجتماعيّ الذي عانَوا منه.

فكان الوباء والعزْلُ مغذِّياً للنَّشاط الأدبيّ لهم، الذي عُرِضَ معتمِداً مصطلحات وتراكيبَ لهجيّة في التعبير لم تكن معروفة في أسيِقة الحبِّ من قبل، راصداً التّحوُّلات في قاموس الحبّ والتعبيرات المستعمَلة فيه.

ولم يخلُ التعبير اللغويُّ عن الحبّ من سخريّة تارة، ومن روح الظُّرف والنُّكتة تارة أخرى، ويَدهَشُك ما حلَّق به الخيال عند أولئك الأدباء من أجنحة الإسقاطات اللغويّة والترميز والإشارات والتصريحات التي تُقدِّم الواقع المُعاشَ كما فرضته أصداء "كورونا"!

الكلمات المفتاحيّة:

الحبّ؛ كورونا؛ الوباء؛ الحجر الصحّي؛ فيسبوك؛ يوتيوب؛ السخرية؛ النُّكتة؛ الترميز؛ الإشارات؛ الواقع؛ الخيال؛ المعاناة؛ قاموس؛ تراكيب؛ التحوُّلات؛ التباعد الاجتماعي.

ABSTRACT

This research deals with the theme of "the social / linguistic dimensions associated with the quarantine period through dialectical expression". It highlights the linguistic expression of love that has taken new forms imposed by the epidemic on lovers, poets and writers.

The imagination of those lovers turned them to social media, relying on Facebook and YouTube, in light of the quarantine and the social distance they suffered from.

Thus, the epidemic and isolation have nourished their literary activity which was presented using terms and dialectic expression that were not known in the context of love before, showing the changes in the dictionary of love and the expressions used therein.

Keywords:

Love, Corona, Epidemic, Quarantine, Facebook, YouTube, Irony, Humor, Coding, Signals, Reality, Imagination, Suffering, Dictionary, Compositions, Transitions, Social Distance.

أضع بين أيديكم البحث المقتَرَح لموضوع "الانعكاسات اللغوية لأزمة الكورونا"، وهو بعنوان "الحب في زمن كورونا"

الذي يندرج في محور "الأبعاد الاجتماعيّة اللسانية المرتبطة بفترة الحجر الصحّي من خلال التعبير اللهجيّ"

تتأثَّر اللغة بالأدب الذي يشيع في عصرها، ويشغل أدب الحب أو غرض الغزل حيِّزاً واسعاً من الأغراض الفنّيّة عند الأدباء والشعراء، ولا يزال الغزل غرضاً لاطئاً بالقلوب محبَّباً إلى النفوس، ويتَّسم الحبُّ بالعصر الذي ينشأ فيه وبتحوُّلاته ومشكلاته، وتتَّسم لغته بسمة ذلك العصر.

جاءت أزمة كورونا فاستدعت ظروفاً اجتماعيّة سرى مفعولها إلى الأحوال اللغويّة، ومن تلك الظروف الحجر الصحّي وفرض التباعد الاجتماعي، والحظر على المحبّين ووقوعهم في إحدى نارين: نار الشوق وآلامه، ونار الفيروس وخطره، فاكتفوا من اللقاء المباشر بوسائل التواصل الاجتماعي ، فصارت سبل الإذاعة عن أدب الحبّ تلك الوسائل من فيسبوك ويوتيوب وتويتر وغيره التي غدت المنصّة الاجتماعيّة الأدبيّة الإعلانيّة السياسيّة في آن.

وقد يسأل سائل ما الصلة بين الكورونا واللغة؟

والجواب أنَّ التعبير عن الأحوال الإنسانيّة من حب وحرب ومرض وغيرها في زمن كورونا صار مقتصراً على وسائل التواصل الاجتماعي دون غيرها من وسائل التواصل المادّي الجسديّ، ووسائلُ التواصل الاجتماعي كما هو معلوم عمادها اللغة المكتوبة والمسموعة، لا تطيق غيرها، ومن هنا كانت اللغة المحكّ الأوَّل في تأثير الأحداث، ومن ضمن أحداث العالم أزمة كورونا، فصارت اللغة ملاذ المحبّين.

وتنوَّعت أدوات التعبير أو وسائل الأداء لهذا النوع من الفنّ، بين رموز وإسقاطات وإشارات وكنايات ومعارضات ونحت وتلاعب بالألفاظ.

والمعروف قديماً أنَّ الأدباء خلّدوا الأوبئة والأمراض التي مرّت بها البشرية في كل الأعمال الفنية على اختلافاتها من الأشعار والمسرحيات والسينما والروايات والرسم، ومع الأزمة الأخيرة التي اجتاحت العالم استحضر القُراء الروايات والأشعار التي تحدثت عن الأوبئة، أو وثقتها، أو تنبأت بها.

فالحب في زمن الكوليرا رواية بُعثت من مرقدها هذه الأيام فهي تدور حول ثالوث الحب والموت والحياة، وفيها:

«إن هذا الحب في كل زمان وفي كل مكان لكنه يشتد كثافة كلما اقترب من الموت.«

"والشعر إنّما هو صوت العاطفة الجيّاشة المحبّة، وصوتُ الإلهام المعبِّر عن الحاجات النفسيّة والاجتماعيّة والفكريّة والدينيّة، فكان بهذا صورة من الصور المرتبطة بالعصر في أطواره الفكريّة التي انتقل إليها بما كان يجري حقيقة بين ظهراني القوم من تيارات فكرية ودينيّة، وهذا كلّه يُستقى من النص وحده" (جمعة 2003: 48).

وارتقى بعض الأدباء في أدبهم ليعارضوا الشعر الناصع، كالشاعر نزار عابدين أديب وإعلامي سوري[1]، كتب قصيدة يعارض فيها «النونية» الشهيرة لابن زيدون التي مطلعها:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا

وناب عن طيب لقيانا تجافينا

(عبد العظيم1957: 141).

وقد استلهم عنوانها من رواية الكاتب الكولمبي غابرييل غارثيا ماركيز «الحب في زمن الكوليرا»، فسمّاها: "الحب في زمن الكورونا".

يرصد فيها التحولات في قاموس الحب، التي أحدثتها جائحة «كوفيد. 19».

يقول فيها:

أضحى «التباعُدُ» دستورَ المحبّينا

ما عاد ينفعُ في اللُقيا تدانينا

»لُمّي» يديك فإني لن أمُدّ يدي

كفٌّ ثلاثِمسُ كفّاً كان يغرينا

كان العِناقُ كأحْلامٍ تُراودنا

واليوم نخشى عناقاً منك يُعدينا

الحبُّ يُطلِقنا، والشوقُ يسبِقنا

والخوف يُقلقنا، فالقول يكفينا

أشتاق وجهَك، أين الوجهُ يَفتُنُنا

لا شيءَ غيرَ «كِمَاماتٍ» تنادينا

غيظ العِدا من تساقينا الهوى فدعوا

بأن نغَصَّ فكان الردُّ «كورونا«

ربيبُ خُفّاشٍ بئسَ الربيبُ ومَن

رُبِّي، عسى اللهُ بالألطاف يُنْجينا

كنّا وكنتم وما يُخشى تفُرُّقُنا

واليوم يا مُنيتي نخشى تلاقينا

كم من مشاويرَ كان الحبُّ يملؤها

واليوم إحصاءُ مَن ماتوا يُبكيّنا

بِنتُم وبِنّا فما جفّت مدامعُنا

شوقاً إليكم وذا «الكورونُ» يشقينا

من يبلغُ الحِبَّ بعد الحجرِ يحصرُنا

أنّا نكابدُ حزناً كاد يُبلينا

ما عاد يضحكنا، ما عاد يؤنسنا

بل صار همّاً وحزنَ الدهر يسقينا

كنّا نعيشُ لياليناكما نهوى

كانت بكم والهوى بيضاً لياليناا

واليوم نحيا على ذكرى وأمنية

ما عاد مِن فرحٍ إلا أمانينا

وقد يعود إلينا الأُنسُ يُسعِدُنا

لمّا يغادرنا فيروس كورونا

تأخذ بمجامعك اللغة الراقية والتراكيب العربيّة الأصيلة وتحيا بين عبق الماضي وجدّة الحاضر، حرارة العاطفة يغذّيها الأدب الرفيع، مفرادات المعاصرة يحدو بها فنّ المعارضة الشعرية لتصل بك إلى صدق الشاعر وقوّة لغته.

حرص على الحفاظ على مصطلحات زمن كورونا المتعاورة بقوله: "التباعد، والحجر والخفّاش والكورونا والفيروس وإحصاء الموتى"، وفي الوقت نفسه وشّى ذلك بالصور البلاغيّة والأساليب البيانيّة والأخيلة الأدبيّة المطلوبة في هذا الفنّ.

وإذا ولَّيت وجهك شطرَ أنواع أخرى من الفنّ الكورونيّ تجد أشكال الأدب قد تعدَّدت من نثر وشعر وطرف وخواطر ومقالات في المجلّات، وتلوَّنت أحواله بين مكتوبة ومسموعة، وأداتها اللغة العامّية تارة والفصيحة تارة أخرى، منها ما لُحِّن في أغانٍ، ومنها ما صيغ في صوت وصورة معاً على هيئة ما يُسمّى "فيديو كليب" كأغنية بعنوان "سنة الحياة" وبها نبدأ، لفشوِّها في هذا الباب، فقد حظيت بستةَ عشر مليون مشاهدة، وهي قصيدة للشاعر أيمن بهجت قمر، لحَّنها محمود العسيلي، وغناها المطرب حسين الجسمي، لكنّها للأسف كانت باللهجة العامّية المصريّة، مع أنّ عربيّتنا الفصحى ما كانت لتعجز أن تؤدّي مؤدّاها في العاطفة والتركيب والصور.

يقول فيها: [2]

لو طالت المسافات

وبعدتنا الايام

ما بينا الف حاجه

تبيِّن الاهتمام

مين قال ان التلاقي

لُقا وسلام بالإيد

فيه قلوب بتحس بينا

لو حتى من بعيد

إلى آخر القصيدة.

فهذا نموذج من الشعر العامّيّ، نلحظ فيه التعبير المباشر السهل القريب، والعاطفة الصادقة على بعدها من يعكس حرارة الوجدان التي كنا نعهد عليها الشعراء العرب من قبل، فلا نكاد نسمع ولا نرى أحداً استشهد بحرارة شوق ولا بصراع حبّ، وهذا يعكس الحقبة التاريخية والميزة العصرية عموماً ولا يتوقف على الكورونا دون سواها.

وغناء الشعر ليس مستحدثاً في هذا الزمن؛ بل "كان الشعر الجاهليّ يرتبط بالغناء، وكان الشاعر يُغنّي أشعاره، ويظهر أنَّ الغناء القديم لم يقف عند هذه الظاهرة البسيطة، فقد أخذ يتعقَّد وأخذت تظهر فيه الجوقات" (ضيف، شوقي، 1960، 45).

وإذا حلَّلتَ اللغة في هذه القصيدة وجدتها السهلة المألوفة البعيدة من الجزالة والتعقيد.

ويُلحَظ في هذا الشعر أيضاً الافتقار إلى وسائل الأداء الشعريّ المعروفة في الأدب عموماً من صورة شعريّة وأخيلة واستعارات لم نعتدّ أن يطلَّ علينا الشعر إلا بحلّتها البهيّة.

ولكنَّ الجديد الذي تميّز به هذا الشعر استعمال تراكيب خاصّة بأزمة الوباء كقوله: "لقا وسلام بالإيد".

ومن النماذج الشعريّة الفصيحة قصيدة

"حب في زمن الكورونا" للشاعر إبراهيم شطارة:[1]

القصيدة تحكي عن عاشقين حُرما اللقاء بسبب مرض كورونا، وأُجبرا على الحجر الصحّيّ مع أناس هم في نظرهما أسواء من وباء كورونا...

يقول فيها:

هَل عزلتنا كرونا عَن بَعْضُنَا؟

هَل جَعَلْتنَا نتجالس ونتعانق مَع أقرانها

هَلْ حَكَمْتَ عَلَيْنَا وَانْتَهَيْنَا

مَوْج الشَّوْق يَبْكِي عَلَيْنَا

قِصَصْنَا و رِوَايَات غبائي ومشاجراتنا

لَن تَنْتَهِي مَع كرونا وَلَا مَعَ اقرانها

انتظارنا ولهفتنا لَمْ تَعُدَّ وَلَا تُحْصَى فِي ساعاتنا

لَا شَيْءَ يَأْخُذُهَا مِنِّي وَلَا شَيْءَ يَأْخُذُنِي مِنْهَا

فيقيني بِاَللَّهِ ثُمَّ بِهَا يَقِينا

أضغاط أَحْلاَمِي وهواجس غيرتي مُؤَقَّتَة كرونا

كَفَى كَفَى كرونا

وَاَللّهِ مَا نَسِيتَ وَطَنِي وَمَا فِيهِ مِنْ مَآسِيّ

[1] https://www.facebook.com/ibrahim.shatara/

فَكَيْفَ لِي أَنْ أنْسَاه وَهِي موطني

سَلَامَتِك فِي بَيْتِك

سَلَامَتِك فِي خطر

لَيْس مَمْنُوعٌ الْحُبّ

لَيْس مَمْنُوعٌ فِي زَمَنِ الْحَظْر

أَن سدو الْمَخَارِج والمداخل

أَن سدو الْجَوَامِع وَالْكَنَائِس

وَإِنْ فَتَحَ قَبْرِي وَالْمَقَابِر

ستزول هَذِه الْغُمَّة

ستزول بِإِذْنِ اللَّهِ رَبُّ الْغُمَّة

يغوص المرء مع خيال ذلك الشاعر في أمواج الشوق، ويرنو إلى ألفاظ التواصل الذي كان عليه المحبّون قبل كورونا حين قال: "نتجالس ونتعانق"، وألفاظ التعبير عن معاناة المحبّين الآن كلفظ "الانتظار" ولفظ "اللهفة".

وبعد ذلك تتفجَّر أحزان دفينة تذكّره بهمّ الوطن وقضاياه لتتماهى محبوبته في الوطن لأنّها هي الوطن، وما ألصق التعبير عن المحبوبة بالتعبير عن الوطن في ظلّ أزمة حرمت المرء من دياره وأحبابه فصارت غربته غربتين.

ويتراوح التعبير اللغويّ بين المباشرة والتعبير الأدبيّ المنمَّق عند الشاعر، فقوله: " الخَطَر وكرونا داهمت نُفُوسِنَا فَمِلْت مِنَّا ومللنا مِنْهَا" هو تعبير مباشرة ولغته لغة إخباريّة نفعيّة مباشرة لا جماليّة، وكذلك قوله "سلامتك في بيتك"، وقوله: "في زمن الحظر".

وغيرها من التعبيرات هي تعبيرات أدبيّة تتنوَّع وسائل الأداء فيها بين رمز وكناية وإشارة واستعارة وإسقاط وانزياح لغويّ.

ويستعين بالطباق اللغويّ بين لفظ "سدّوا" ولفظ "فتح" ليشير إلى تداعيات الظروف الراهنة.

هذا نموذج للاستعمال اللغوي الفصيح في التعبير عن الحب، ومع ذلك نرى فيه بعض التجاوزات والانزياحات التي يتَّسم بها غالب الأدب المعاصر في هذا الزمن، وخصوصاً ذلك الذي يُنشر على وسائل التواصل الاجتماعيّ من غير تنقيح ولا خضوع للجنة التحكيم العلميّ.

من ذلك أنّه استعمل "عن بعضنا"، وهو من الأخطاء اللغويّة الشائعة، والصواب "عزلتْ بعضَنا عن بعض"، أو عزلت أحدنا عن الآخر، (الحسني2009: 56).

قال تعالى: "وإذا خلا بعضُهم إلى بعض"[3]، ولم يقل: خلوا إلى بعضهم.

ومن ذلك الخلط والتحريف في استعمال بعض المفردات على نحوها الفصيح الذي ينبغي، كقوله: " أضغاط أَحْلاَمِي"

والركاكة الأسلوبية حين قال: "لم تعد ولا تحصى"، والصواب: "لا تعد ولا تحصى"

وكان ينبغي جرّ لفظ "ربّ" على البدل، غير أنّه رفعه إمّا سهواً منه، وإمّا أنه نوى رفعه على القطع، ولعلّ في ذلك عميق رجاء منه لزوال هذه الغمّة.

ويقول شاعر آخر:

عيناها التقتا من خلف كمّامه

عيناهما حكتا جرحاً وآلامه

إنّه شعر غزل، غير أنّك تحسُّ وكأنّه مصنوع صناعةً؛ لما فيه من تعبير سريع باهت بارد، لا تقف فيه على جوانب نفسية حقيقيّة، إنّما كلام مباشر يخلو من حرارة العاطفة الصادقة، وألم المعاناة مقارنة بما كنا نراه ونسمعه بعيداً عن العزل والحجر من لطيف الشعر وعميق النثر وما يعكس حرارة الوجدان وأشواق المحبّين.

والناظر يرى التجاوز اللغويّ في استعمال "كمّامة" والصواب "كِمامه"، ولو أصلح الخطأ اللغوي لوقع في خطأ عروضي.

وفي التعامل مع تلك المعاناة وجد بعضهم الطرفة ملاذاً له، حيث استعمل السخرية والتهكم لمواجهة الهم والبُعد ودمار الصحة والاقتصاد وتحويل المأساة إلى ملهاة، وتقوية الصبر، وكسر الملل، والتخفيف من التوتر النفسي: تقول الباحثة أمينة المجدوب في مقال بعنوان:

[4]لا مضحك إلا ما هو إنساني:

"وهذا الأسلوب يسميه علماء الاجتماع بآليات الدفاع للتخفيف من هول المشهد، أو الموقف الذي يواجهونه. وفي تفسير لذلك يقول الفيلسوف الفرنسي (هنري برغسون) النكتة هي محاولة لقهر القهر، وهتاف للصامتين، إنها نزهة في المقهور المسكوت عنه.

فهل كانت إبداعات الحبّ تعبيراً عن الحب نفسه أم تفريغاً للملل والقهر والضعف في هيئة كلام حبّ؟ هل هو إبداع الحب أم إبداع الملل؟

لننظر في طائفة منها:

يقول قائلهم: "كانت القبلة علامة محبّة فصارت مع الكورونا محاولة اغتيال"

ويقول أحدهم مغازلاً حبيبته: "كل النساء حالة مشتبه فيها إلا أنت إصابة مؤكَّدة"

وقوله: "سحر عينيك كفيروس كورونا ليس له دواء"، فردَّت: وقلبك مثل مشافي الوطن كل غرفة فيها عشرة.

وهذا ما امتزج به أدب السخرية والطرفة مع تعبيرات العصر الراهن الأقرب إلى الطبّية المباشرة منها إلى الأدبيّة الخياليّة التي اعتدناها في ميدان الغزل.

فانظر كيف استعمل ألفاظ الطبّ في التعبير عن غرض الغزل، وتأمَّل في التعبير الرمزي الأقرب إلى المباشرة منه إلى الرمز، فاستعمال لفظ "الحالة المشتبه فيها" كناية عن الحب غير القويّ، أو عن عدم الحب، واستعمال "الإصابة المؤَكَّدة" كناية عن الحب القويّ الذي أصاب كبده، وكلا الاستعمالين لا يحتاج إلى عميق فكر ولا شديد عاطفة ليستكشف كنهه ومعاناه صاحبه، فهو أقرب إلى المباشرة وأبعد عن الرمز والإشارة.

وعند إحاطة المفردات المتعلقة بالكورونا بالذهن البشري يرى المرء كل شيء متصلاً بها؛ كتب بعضهم إلى صديقه: "أدعو لك بالنعيم المقيم"، فما كان منه إلا أن قرأها أول وهلة: "أدعو لك بالتعقيم".

فالطرفة سبيل من سبل التعبير عن السأم، وأكثر بها حين اشتدَّ الكرب بالناس فيجدون فيها متنفَّساً لتفريغ مشاعرهم والتعبير عن غزل الكورونا بسخرية، يقول أحدهم مغازلاً زوجته على طريقة كورونا:

"كل النساء حالة مشتبه فيها إلا أنت إصابة مؤَكَّدة"

فانظر في التعبير الرمزي الأقرب إلى المباشرة منه إلى الرمز، فاستعمال لفظ "الحالة المشتبه فيها" كناية عن الحب غير القويّ، أو عن عدم الحب، واستعمال "الإصابة المؤَكَّدة" كناية عن الحب القويّ الذي أصاب كبده، وكلا الاستعمالين لا يحتاج إلى عميق فكر ولا شديد عاطفة ليستكشف كنهه ومعاناه صاحبه، فهو أقرب إلى المباشرة وأبعد عن الرمز والإشارة.

ويقوم أحد الظرفاء برسم كوكب الشرق وهي تغني وقد وضعت على فمها وأنفها كِمَامة.. وتقول كلمات الأغنية: [5]

ياما كنت أتمنى أقابلك بابتسامة

أو بنظرة حب أو كلمة ملامة

بس زي مانت شايف لابسة الكمامة

فطير أنت ومع ألف سلامة!

ويقول الشاعر هيثم الدسوقيّ بالعاميّة السورية مسخِّراً روح السخرية والهزل للتعبير عن الشوق الذي لم نعتد سماعه على تلك الهيئة:[6]

"سامحيني يا حياتي ما عمبقدر شوفك

سامحيني ظروفي صعبة متلاً متل ظروفك

لو فرضنا أنو طلعنا مافي سرفيس يرجعنا

أجرة التكسي ما معنا ما برضى أبداً أنو تحطّي من مصروفك

ممنوع نقعد بالحديقة ومسكّرة القهوة العتيقة

وإن صارت ستة ودقيقة بدك تصريح يا حياتي

حتى الشرطي يعوفك"

لقد انحدرت لغة التعبير عن الشوق إلى هذا المستوى من اللغة الدارجة المحكيّة، غايتها الإخبار لا الفنّ، خالية من الفصاحة ومن العاطفة ومن فنون البلاغة كلّها معاً.

ومن ناحية أخرى عكس بعض كتّاب هذا الفنّ الأحوال النفسية المتخبطة التي تعتور مشاعرهم، مثَّل ذلك استعمالُهم مفردات الخوف والاحتماء جنباً إلى جنب مع مفردات التعبير عن الحب في زمن كورونا، من ذلك تغريدة تويتر نشرتها بنان الشهيّب تقول فيها[7] :

مع أزمة كورونا شعرت برغبة كبيرة في الاحتماء بمن أحب، وفهمت كيف أن وجود الحب يزيل الخوف عملياً ، عكْس الخوف هو الحب، فإذا خفت اعرف أنك مصاب بنقص الحب، في هذه المرحلة حاول أن تراقب كل شعور وتعلله، فعلى الرغم من ضبابيتها إلا أنها تعد من أهم التجارب الروحية العميقة ، راقب شعورك .

[8]ترى الأستاذة في علم الاجتماع بجامعة عين شمس، الدكتورة سامية خضر، أن الخوف على الأخر قد يؤدي لعلاقة إنسانية جميلة وقوية، على حد تعبيرها.

وتضيف: "نحن لسنا في عصر الحب الملتهب، ولكن بسبب الوحدة المفروضة على الجميع اليوم قد يميل الإنسان نحو اللجوء أكثر لخياله ويشتاق لشخص يفهمه ويحب الحديث معه والاستماع اليه طويلا، فهل تخرج تلك المشاعر الإنسانية وهذا الاشتياق للسطح بسبب العزلة الحالية؟"

فلا تسل عن معاناة المحبّين في عُرض الأزمة الحاليّة؛ حتّى إنَّ بعضهم في أحد البلدان اتفقوا على أن يذهبوا إلى الغابات ويعانقوا الشجر، لعلَّ في ذلك شيئاً من استحضار الحاجة الماسّة إلى طيف المحبوبة.

فهل سيغذي الوباء خيال الأدباء كما غذّى أحوال المحبّين في الواقع؟

هل الموت والحب سيخلقان إنساناً بما تعنيه هذه الكلمة من معانٍ؟[9]
توقف الكثيرون عند هذه الجائحة معولين عليها في رد الإنسان إلى إنسانيته بعد أن أخذته الحياة الحديثة في لهاث وحركة تخلو من المشاعر، وهذا ممّا عالجه الشاعر السوداني بحر الدين عبد الله، فهو يعوّل على الجائحة لترد الإنسان إلى بشريته ونورانيّته التي تفصله عن الحيوان.

يقول في قصيدته:

هذا الإنسان الآليُّ

سيقتل حُلْمَ الفيروساتِ

ويهزمُ بالحُبِّ

سُلالاتِ الكوفيدْ

هذا الإنسان

الآليُّ

سيكفر بالكمامات

ويُؤمنُ

بالنغمِ النورانيِّ

وأمصال التوحيدْ

هذا

الإنسان الآليُّ

سيشربُ من كفِّ الله

وحُبِّ اللهِ

نشيدا نورانيّاً

بعد نشيدْ

في وجه القلق والخوف يسلُّ الشُّعراء أقلامهم لبث الأمل والتفاؤل والحياة في النفوس، فكانوا شريان الحياة السعيدة وصوت الفرح في وجه الحزن، وصوت الأمل في وجه اليأس، وصوت النّصر في وجه الهزيمة، وصوت الفقير المعدم، ففي الفرح نعود للشعر، وفي الحزن نتداوى به ونخفف من جراحنا، فالعربي يعود للشعر كلّما أثقلت الحياة كاهله. [10]

ولا تسل عن معنى الدفء الحقيقي والحب الخالد في ذه الأزمة، إنّ حب الأسرة: تقول آية الأتاسي، كاتبة سورية:

وقد يراودك سؤال عن نسبة نصوص فنّ الكورونا إلى أصحابه والجواب أنَّ الذي يعانيه أدب الكورونا الاشتباه والاختلاط في نسبة الأدب إلى صاحبه، فالمرجع الذي يُعتمد في توثيق مادّة الحب في زمن كورونا مرجع مفتوح على جميع الناظرين سهلٌ الخلط فيه والسرقة، لا براءة اختراع لصاحبه، فكلٌّ يتناقل ما سمع حتى لا يكاد المرء يميّز الوجهة التي صدر عنها الكلام إلا من رحم ربّي.

والذي يميّز أدب الكورونا من جهة أخرى أيضاً حق النشر للجميع، فاستوى العالم والجاهل باختراع الفيسبوك واليوتيوب فكلٌّ يحق له أن يسمع ويحق له أن يؤلف وينشر ولا يحق لأحد محاسبته، وبهذا غاب دور النقد الأدبي والنقد اللغوي وضعفا وانحسرا أو كادا.

حتى قال أحدهم عن ذلك الهرج والمرج: "استخدموا ربطات الرأس وحبوب سيتامول لستعدّوا لسماع هذا النوع من الأغاني التي سيقوم بها كل فرد من منزله بدون استديو ولا تكلفة"

والملحوظ في أكثر فنون الكورونا طغيانُ العامّية:

ويأسف المرء أن برزت مؤخرا إشكالية الازدواجية اللغوية، حيث تراجعت اللغة العربية الفصحى وتزايدت ظاهرة الكتابة باللهجة العامية، وراحت بعض وسائل الإعلام تُقحم مصطلحات باللغة الدارجة لتحل محل اللغة الفصحى، لدرجة أن بعض الجرائد والمجلات أضحت تفضل كتابة مقالاتها باللهجة العامية، فلا عجب أن ترى الأشعار والطرف المتصلة بكورونا تنحدر أدنى من درجة لغة الإعلام.

فما المانع أن تؤدى هذه الأشعار والطُّرف باللغة الفصيحة الناصعة البيان، التي توحِّد عرب المشرق والمغرب؟ ما كانت العربية الفصيحة لتعيا عن أن تلمَّ بما في القلوب من أحوال ظروف العصر الراهن ولا بما في الحياة من مستجدّات وأحداث.

فما أنصع اللفظ والتعبير لو كان: "داخلنا كلام" بدل جوّانا، و"قصص ينبغي أن تُقال" بدل "قصص محتاجة تتقال"، و"لا يغيبون عن البال" بدل "ما بيروحوش"، و"نتيه في مليون اتجاه" بدل "نتوه"، "وأضغاث أحلام" بدل "أضغاط"، طبعاً مع مراعاة الوزن والقافية و قواعد اللحن والأداء التي ستختلف باللغة الفصحى.

استعمل أصحاب هذا الفنّ قاموسهم اللغويّ الذي تتناثر فيه مفردات مألوفة معروفة يتعاورها الشعراء عادة في غرض الغزل منها: "الحب الغربة الشوق اللقاء الإحساس الغربة البعد"، لتلتقي مع مفردات أخرى دخيلة على ميدان الحب أو لم تعتد سماعها من قبل كالمفردات الطبّية الخالصة، مثل: "سلالات الكوفيد" ، و""مشافي الوطن"، و"المصل والدواء"، "إحصاءات الموت".

وبعد:

لعلَّ نظرة لامحة إلى تلك المادّة الأدبيّة المصطبغة بصبغة الأزمة تُبدي للقارئ أنّ اللغة الفصحى ضاعت وتلاشت ملامحها الوضيئة في تعبيرات واهية وكتّاب لا يُعرف من أين هم؟.

لا نكاد نعثر على الشعر الرصين، ولا الأدب الرفيع، نادراً ما نجد عاطفة صادقة جيّاشة تنمّ عن عذاب المحبّين وحرقتهم، أهو إطفاء الشوق بوسائل التواصل الاجتماعيّ التي لم تنقطع على تباعد المحبّين؟ أم هي صفة عصر السرعة والتكنولوجيا زمن العلم لا العواطف؟

تنوَّعت مادّة الفنّ بين تعبير عن الواقع وتعبير عن المشاعر، كنا نجد الحب تعبيراً عن المشاعر لا سخرية من الواقع.

سمة اللغة التي حملت على كاهلها التعبير عن حب الكورونا تعتورها الركاكة ويختلجها الضعف والإرباك، تفتقر إلى الرصانة والمتانة والجزالة وقوّة التركيب، تكثر فيها الأغلاط الشائعة والأخطاء النّحويّة والإملائيّة،

غير أنّها كانت قريبة سهلة المتناول ليست حكراً على طائفة من المثقّفين والأدباء، هي لغة الأطفال والكبار معاً، العامّة والخاصّة معاً، لغة الأخبار ولغة الفن معاً، لغة الأدب ولغة الحياة اليوميّة في آن.

خالطتها روح الدعابة والسخرية والظرف، فامتزج أدب السخرية بأدب الحب، أبطالها وروّادها من عامّة الناس، مشاعرهم المرهفة توصل للقارئ عميق الإحساس وإن نضبت فيها أنهار البلاغة وينابيع البيان أو كادت.

قديماً قالوا: الإبداع يولد من رحم المعاناة؛ فهل رأيتم أيها السامعون في أدب الحب في زمن الكورونا إبداع الحب أم إبداع الملل؟

وهل يُعقل أن تكون العامّية حائلاً دون إيصال حرارة الشوق ولوعة الفراق؟

هل اعتيادنا سماع الفصحى جعل العاميّة مستهاناً بها في هذا الميدان؟

الذي أرجوه أن ألقاكم معافَين متحابّين، بلغة مشرقة ناهضين ....

المصادر والمراجع

بالعربية

الكتب

حسين، جمعة، 2003، المسبار في النّقد الأدبيّ، دمشق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 2003، ط1.

شوقي، ضيف، 1960، الفن ومذاهبه في الشعر العربيّ، القاهرة، دار المعارف، ط4.

علي، عبد العظيم، 1957، ديوان ابن زيدون ورسائله، القاهرة، نهضة مصر، ط1.

مكّي، الحسني، 2009، نحو إتقان الكتابة العلميّة باللغة العربيّة، دمشق، مجمع اللغة العربيّة، ط1.

الروابط:

https://elteeta.com/%D9%83%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D8%BA%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%B3%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D9%87-%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86-

%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B3%D9%85%D9%8A/> اطلـــع عليه بتاريخ: 2020/8/5م

https://www.al-watan.com/news-> details/id/231225/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A8-%D9%81%D9%80%D9%8A-%D8%B2%D9%85%D9%80%D9%80%D9%80%D9%80%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%80%D9%80%D9%83%D9%80%D9%80%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D9%80%D9%80%D9%80%D9%80%D9%80%D8%A7/d/20200512> اطلع عليه بتاريخ: 2020/8/10م

https://www.hespress.com/writers/464841.htm> > اطلـع عليـه بتـاريخ: 2020/8/20م

http://octobermageg.com/?p=11889> > اطلع عليه بتاريخ: 2020/8/3م

<https://help.twitter.com/en/twitter-for-websites-ads-info-and-privacy> اطلع عليه بتاريخ: 2020/8/4م

1

https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/4/3/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%AA%D8%B3%D9%84%D9%84%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%AA%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%A1> اطلع عليه بتاريخ: 2020/8/20م

https://www.dw.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A8-> %D9%81%D9%8A-%D8%B2%D9%85%D9%86-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D9%87%D9%84-%D9%88%D9%82%D8%B9%D8%AA-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%A3%D8%B2%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A8-%D8%B9%D9%86-%D8%A8%D8%B9%D8%AF/a-52985952> اطلـــع عليـــه بتـــاريخ: 2020/8/20م

<http://www.al-jazirah.com/2020/20200417/cm4.htm> اطلع عليه بتاريخ: 2020/8/20م

https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/4/3/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%AA%D8%B3%D9%84%D9%84%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%AA%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%A1> اطلع عليه بتاريخ: 2020/8/20م

هوامش البحث:

[1] https://www.al-watan.com/news-details/id/231225/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A8-%D9%81%D9%80%D9%8A-%D8%B2%D9%85%D9%80%D9%80%D9%80%D9%80%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%80%D9%80%D9%83%D9%80%D9%80%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D9%80%D9%80%D9%80%D9%80%D8%A7/d/20200512

[2] https://elteeta.com/%D9%83%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D8%BA%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%B3%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D9%87-%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B3%D9%85%D9%8A/

[3] سورة البقرة: 76.

[4] اضحك مع كورونا – أمينة مجدوب https://www.hespress.com/writers/464841.html

[5] حوار الأفكار- اسماعيل منتصر http://octobermageg.com/?p=11889

[6] الشاعر هيثم الدسوقي.

[7] https://help.twitter.com/en/twitter-for-websites-ads-info-and-privacy

[8] الحب في زمن كورونا- هل وقعت في مأزق الحب عن بعد؟ https://www.dw.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A8-%D9%81%D9%8A-%D8%B2%D9%85%D9%86-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D9%87%D9%84-%D9%88%D9%82%D8%B9%D8%AA-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%A3%D8%B2%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A8-%D8%B9%D9%86-%D8%A8%D8%B9%D8%AF/a-52985952

[9] https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/4/3/%D9%83%D9%8A%D9

%81-%D8%AA%D8%B3%D9%84%D9%84%D8%AA-
%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-
%D8%A5%D9%84%D9%89-
%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%AA%D8%B1-
%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%A1

[10] كورونا في عيون الشعراء http://www.al-jazirah.com/2020/20200417/cm4.htm